جوانب وعظ وإرشاد في القرآن الكريم ذات دلالة في هداية الفرد واصلاح المجتمع –دراسة موضوعية–

أ م د. محمود عبد الستار شلال

جامعة الفلوجة / كلية العلوم الإسلامية

أ م د . سلام عبود حسن

الجامعة العراقية / كلية التربية للبنات

Aspects of the preaching of the Koran and guidance of significance in the guidance of the individual and reform of society - an objective study –

Assistant Professor Dr
Salam Aboud Hassan
University of Iraq / College of Education for Girls
Assistant Professor Dr
Mahmoud Abdel Sattar Shallal
University of Fallujah / Faculty of Islamic Sciences

ملخص البحث

إن الوعظ والإرشاد هو سبيل الأنبياء، ومنهاج الصلحاء، وهو فريضة عظيمة، وكما عبر عنه القرآن الكريم، فهو من أعظم الواجبات وأشرف الغايات التي تجب على الإنسان في كل زمان ومكان، لا سيما اذا عمت الفتن والمحن، وفشت الضلالة، وانعدمت حقيقة الفضائل. والإسلام لا يغفل هذه الناحية العظيمة، ومن خلال مبدأ (وعظ القرآن وإرشاده) للمحافظة على نقاء وجوهر المجتمع الإسلامي. فالوعظ والإرشاد من أهم الواجبات الشرعية والعقلية، وهو فرع من فروع الدين، وهو من أفضل العبادات، وأنبل الطاعات، وهو من أهم الأساليب والأدوات العملية في منع الرذائل وانتشار الفضائل، وزرع بذور الخير والصلاح في المجتمع، وقلع جذور الشر والفساد، وهو يندرج تحت مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتارة من خلال دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام، وكونهم سببا لهداية الناس وإرشادهم إلى الطريق القويم، وما حواه القرآن من تعاليم وقيم مثلى، توقظ القلوب الغافلة، وتارة أخرى من خلال دعوة الأئمة والصلحاء من هذه الأمة، ووعظهم وإرشادهم لغيرهم، للوصول إلى أعلى مراتب الكمال والضمان الحقيقي لبقاء تعاليم الدين وقيمه راسخة وحية.

Research Summary

Preaching and guidance is the path of the prophets, It is a great duty, and as expressed by the Holy Quran, it is one of the greatest duties and supervised the goals that are incumbent on the human at all times and places, especially if the strife and tribulations, and the violation of truth and virtues. Islam does not overlook this great aspect. And through the principle of preaching and guidance to preserve the purity and essence of the Islamic community. Valoaz and guidance of the most important legal and mental duties, a branch of religion, which is one of the best acts of worship, and the noblest acts of worship, one of the most important practical methods and tools in preventing the vices and the spread of virtues, and sow good seeds and goodness in society, uprooting the roots of evil and corruption, which falls under the principle of Promotion of Virtue and Prevention of Vice, sometimes through the call of the prophets and messengers peace be upon them, and they are a reason to guide people and guide them to the right path, and what Hawwah the Koran's teachings and values like me, awaken hearts Algavlp, and at other times by calling the imams of this nation, and given them and guide them to others, to reach the highest echelons of the Real money and to guarantee the survival of the teachings of religion and values of a well-established and vivid.

المقدمة

الحمد لله ذي العزة والبقاء، والعظمة والكبرياء، والمجد والثناء، تعالى عن الأنداد والأضداد والشركاء، وتقدس عن الأمثال والأشباه والنظراء، استقل بالإرادة والتدبير، وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء الحنفاء الأصفياء، وعلى آله الأبرار النجباء، وأصحابه الأجلاء الأوفياء.أما بعد:

فإن الوعظ والإرشاد هو منهج الأنبياء والعلماء والصلحاء في دعوتهم الى الله تعالى، وهو من أعظم السبل للوصول إلى اسمى الغايات، والفوز بأعلى الدرجات، فعن طريقه تنتشر الفضائل وتمنع الرذائل، وبتركه والتهاون به يصاب المجتمع بالزيغ والانحراف والضياع، فتقسوا القلوب، وتشيع الفتن، وتنهار القيم، وتنحرف الأمم عن سنن العدل، والإسلام يدعو في كل تعاليمه إلى إعمار الأرض واستقامة الأمر، فالوعظ والإرشاد هو من الواجبات العظيمة، التي تجب على الأفراد والجماعات في كل زمان ومكان، وهو يندرج تحت مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتارة من خلال دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام، وكونهم سببا لهداية الناس وإرشادهم إلى الطريق القويم، وما حواه القرآن من تعاليم وقيم مثلى، توقظ القلوب الغافلة، وتارة أخرى من خلال دعوة الأئمة والصلحاء من هذه الأمة، ووعظهم وإرشادهم لغيرهم، للوصول إلى أعلى رتب الكمال، ولبقاء تعاليم الدين وقيمه راسخة وحية. لذا جاء اختيار لموضوع (جوانب وعظ وإرشاد في القرآن الكريم ذات دلالة في هداية الفرد واصلاح المجتمع –دراسة موضوعية–) لما لهذا الموضوع من أهمية عظيمة يتوقف عليها صلاح الأفراد والمجتمعات

وقد جاءت خطة البحث مكونة من تمهيد وأربعة مطالب وخاتمة غير هذه المقدمة.

المطلب الأول: الأمر بتقوى الله تعالى والقيام بواجب الدعوة إليه.

المطلب الثاني: في كون الرسالة سبب الهداية الناس وإرشادهم إلى الله تعالى.

المطلب الثالث: بيان القرآن من قبل النبي والوعظ به وإيقاظ القلوب الغافلة عنه.

المطلب الرابع: الخطاب لأمهات المؤمنين وحثهن على الائتمار والانتهاء.

ثم جاءت الخاتمة لتبين أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

والله اسأل التوفيق والسداد، ولا ادعي فيما كتبت الكمال، ولكن حسبي أني بذلت فيه جهدا، فأن أصبت فمن الله تعالى، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد

التعريف بالوعظ والإرشاد لغة واصطلاحا

أولا: الوعظ لغة واصطلاحا:

الوعظ لغة:

((وعظ)): الواو، والعين، والظاء، كلمة واحدة. فالوعظ: التخويف، والعظة الاسم منه[١].

والوَعْظ والعِظة والعَظة والمَوْعِظة: النصح والتذكير بالعواقب، وقد (وَعَظَه) من باب (وَعَدَ)، و(عِظِة) أيضا بالكسر (فأتَعظَ)، أي قبل (المَوعِظة)، يقال: السعيد من (وَعِظَ) بغيره، والشقي مَنْ (اتعَظ) به غيره[٢].

يقال: لأجعلنك عِظَةً أي: موعظة وعبرة لغيرك، وفي التنزيل: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[٣]، لم يجيء بعلامة التأنيث لأنه حقيقي، أو لأن الموعظة في معنى الوعظ، حتى كأنه قال: فمن جاءه وعظ من ربه. وقد وَعَظَه وَعظاً وعِظةً، وأتَّعظ هو: قبل الموعظة، حين يذكر الخبر[٤].

ويقال: وعظَه يعِظه وعْظاً وعظِة: أي أمره بالطاعة ورضاه بها، وعليه قوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ﴾[٥]، أي: أوصيكم وآمركم. فأتَّعظ أي ائتمر وكف نفسه، والاسم العِظَة والمَوْعِظة، وهو واعظ، والجمع وُعَّاظ[٦].

الوعظ اصطلاحا:

هو زجر مقترن بتخويف. وقيل: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب[٧].

وقيل: هو الذي يلين القلوب القاسية، ويدمع العيون الجاحدة، ويصلح الأعمال الفاسدة[٨].

وقيل: هو تذكيرك للإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب[٩].

ثانيا: الإرشاد لغة واصطلاحا:

الإرشاد لغة:((رشد)): الراء، والشين، والدال، أصل واحد يدل على استقامة الطريق[١٠].

والرّشَدُ وَالرُّشْدُ والرَّشاد نقيض الغي، وهو إصابة الصواب، يقال: رَشَد الإنسان بالفتح، يَرشُد رُشْدا بالضم، ورَشِد بالكسر، يَرْشَد رَشَدا ورَشاداً، فهو راشِد ورَشيد، وهو نقيض الضلال، اذا أصاب وجه الأمر والطريق[١١]. قال تعالى: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾[١٢]، وقال تعالى:﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾[١٣].

يقال: أصاب فلان من أمره رَشدا ورَشَدا ورِشدةً[١٤].

والراشِد اسم فاعل من رشِد يرْشُد رُشداً، وأرْشَدته أنا، وأرشَده الله تعالى، وأرشَده إلى الأمر، ورشَّده: هداه، وأسترشده: طلب منه الرشد، يقال: استرشد فلان لأمره: اذا اهتدى له،

وأرشدْتُه فلم يَستَرشِد، وإرشاد الضال: هدايته الطريق وتعريفه، واسترشدته فأرشدني إلى الشيء وعليه وله[١٥].

والرُشْدى: اسم للرشاد، ومنهم من جعل رَشَدَ يَرْشُدُ، ورَشِدَ يَرْشَد بمعنى واحد في الغي والضلال. والإرشاد: الهداية والدلالة. والرُشدى من الرشد، وقوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[١٦]، أي أهدكم سبيل القصد، سبيل الله تعالى وأخرجكم عن سبيل فرعون. والرَّشاد: هو العمل بموجب العقل[١٧].والرُشْد بالضم، الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه. والرشيد في أسماء الله وصفاته: هو الهادي الى سواء الصراط، أو هو الذي ارْشَدَ الخلق إلى مصالحهم، أي هداهم ودلهم عليها[١٨].والمراشِدُ: مقاصد الطريق، والطريق الأرشد نحو الأقصد، وراشِدٌ ومُرشْدٌ ورُشَيْد ورُشْد ورَشاد أسماء[١٩].

الإرشاد اصطلاحا: هو هداية الضال إلى الطريق وتعريفه[٢٠]. وقيل: هو الهداية والدلالة[٢١].

المطلب الأول : الأمر بتقوى الله تعالى والقيام بواجب الدعوة والإرشاد إليه.

تناولت سورة آل عمران طرفا من المعركة الجدلية بين أهل الكتاب والجماعة المسلمة في المدينة في تلك الفترة، والتي تناولت السورة أحداثها في حياة الجماعة المسلمة، من بعد غزوة بدر في رمضان من العام الثاني للهجرة إلى ما بعد غزوة أحد في شوال من العام الثالث، هذه المعركة التي شغلت ما مر من السورة كلها، والتي كانت مجالا لتجلية حقيقة التصور الإيماني، وحقيقة الدين، وحقيقة الإسلام، وحقيقة منهج الله تعالى، الذي جاء به الإسلام، وجاء به من قبل كل رسول، كما كانت مجالا لكشف حقيقة أهل الكتاب، الذين يجادلون النبي ﷺ ومن معه ويحاورنهم، وكشف مدى انحرافهم عن دين الله تعالى، وفضح تدبيرهم للجماعة المسلمة في المدينة، والدوافع الكامنة وراء هذا التدبير، ثم تحذير الجماعة المسلمة من هذا كله، بعد تسليط الأنوار عليه، وتجسيم خطره على الجماعة المسلمة لو غفلت عنه، واستجابة لأعدائها فيه[٢٢]. ولذلك قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٢٣]. ولأنه لما أظهر لهم نعمة نقلهم من حالتي شقاء وشناعة، إلى حالتي نعيم وكمال، وكانوا قد ذاقوا بين الحالتين الأمرين ثم الأحلوين، فحلبوا الدهر شطريه، كما كانوا أحرياء بأن يسعوا بكل عزمهم إلى انتشال غيرهم من سوء ما هو فيه، إلى حسنى ما هم عليه، حتى يكون الناس أمة واحدة خَيّرة، وفي غريزة البشر حب المشاركة في الخير، لذلك تجد الصبي إذا رأى شيئا أعجبه، نادى من حوله ليراه معه[٢٤]. فقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ﴾[٢٥]صيغة وجوب لأنها أصرح في الأمر من صيغة (افعلوا) لأنها أصلها، فإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير معلوم بينهم من قبل، كما يدل عليه قوله تعالى:﴿

كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[٢٦]، فالأمر لتأكيد ما كانوا يفعلونه ووجوبه، وفيه زيادة الأمر بالدعوة الى الخير، وقد كان الوجوب مقررا من قبل بآيات أخرى مثل:﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[٢٧]، أو بأوامر نبوية، فالأمر لتأكيد الوجوب أيضا للدلالة على الدوام والثبات عليه، مثل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ ﴾[٢٨] [٢٩].

قال الإمام الرازي رحمه الله: في قوله تعالى﴿ مِّنكُمْ ﴾ أقوال:

أحدها: أن (من) ههنا ليس للتبعيض لدليلين، **الأول:** أن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الأمة في قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[٣٠]. **والثاني:** هو أنه لا مكلف الا ويجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إما بيده، أو بلسانه، أو بقلبه، ويجب على كل أحد دفع الضرر عن النفس إذا ثبت هذا، فنقول: معنى الآية كونوا أمة دعاة إلى الخير، آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، وأما كلمة (من) فهي هنا للتبيين لا للتبعيض، كقوله تعالى: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾[٣١]، ويقال أيضا: لفلان من أولاده جند، وللأمير من غلمانه عسكر، يريد بذلك جميع أولاده وغلمانه لا بعضهم، كذا ههنا، ثم قالوا: إن ذلك وان كان واجبا على الكل الا أنه متى قام به قوم سقط التكليف عن الباقين، ونظيره قوله تعالى: ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾[٣٢]، وقوله تعالى:﴿ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[٣٣]، فالأمر عام، ثم إذا قامت به طائفة وقعت الكفاية، وزال التكليف عن الباقين.

الثاني: أن (من) ههنا للتبعيض، والقائلون بهذا القول إختلفوا أيضا على قولين، **الأول:** أن فائدة كلمة (من) هي أن في القوم من لا يقدر على الدعوة، ولا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مثل النساء والمرضى والعاجزين. **والثاني:** أن هذا التكليف مختص بالعلماء، ويدل عليه **وجهان:**

الأول: أن هذه الآية مشتملة على الأمر بثلاثة أشياء: الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومعلوم أن الدعوة إلى الخير مشروطة بالعلم بالخير وبالمعروف وبالمنكر، فإن الجاهل دعا إلى الباطل، وأمر بالمنكر، ونهى عن المعروف، وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه، فنهاه عن غير منكر، وقد يغلظ في موضع اللين، ويلين في موضع الغلظة، وينكر على من لا يزيده إنكاره إلا تماديا، فثبت أن هذا التكليف متوجه على العلماء، ولاشك أنهم بعض الأمة، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾[٣٤]**.والثاني:** أن جمعنا على أن ذلك واجب على سبيل الكفاية، بمعنى أنه من قام

به البعض سقط عن الباقين، وإذا كان كذلك، كان المعنى ليقم بذلك بعضكم، فكان في الحقيقة هذا إيجابا على البعض لا على الكل.

والقول الثالث: أن المراد من هذه الآية أصحاب رسول الله ﷺ، لأنهم كانوا يتعلمون من الرسول عليه السلام، ويعلمون الناس، والتأويل على هذا الوجه كونوا أمة مجتمعين على حفظ سنن الرسول ﷺ وتعلم الدين(٣٥).

ويقول الأمام إبن عاشور: المخاطب بضمير﴿مِّنكُمْ﴾ إن كان هم أصحاب رسول الله ﷺ كما هو ظاهر الخطابات السابقة، فجاز أن تكون (من) بيانية، وقُدِمَ البيان على المبين، ويكون ما صدق الأمة من الصحابة، وهم أهل العصر الأول من المسلمين، فيكون المعنى: ولتكونوا أمة يدعون إلى الخير، فهذه الأمة أصحاب هذا الوصف، قد أمروا بأن يكونوا من مجموعهم الأمة الموصوفة بأنهم يدعون إلى الخير، والمقصود تكوين هذا الوصف، لأن الواجب علهم هو التخلق بهذا الخلق، فإذا تخلقوا به تكونت الأمة المطلوبة، وهي أفضل الأمم، وهي أهل المدينة الفاضلة المنشودة للحكماء من قبل، فجاءت الآية بهذا الأمر على هذا الأسلوب البليغ الموجز، وفي هذا محسن التجريد، جردت من المخاطبين أمة أخرى للمبالغة في هذا الحكم، كما يقال: لفلان من بنيه أنصار.والمقصود: لتكونوا آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، حتى تكونوا أمة هذه صفتها، وهذا هو الأظهر، فيكون جميع أصحاب رسول الله ﷺ قد خوطبوا بأن يكونوا دعاة إلى الخير، ولا جرم منهم الذين تلقوا الشريعة من رسول الله ﷺ مباشرة، إنهم أولى الناس بتبليغها ، وأعلم بمشاهدتها وأحوالها، ويجوز أيضا على اعتبار الضمير خطاباً لأصحاب رسول الله ﷺ أن تكون (من) للتبعيض(٣٦).

وكلمة ﴿أُمَّةٌ﴾(٣٧) تطلق مرة، ويراد بها الجماعة والطائفة التي تنتسب الى جنس، كقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾(٣٨)، وكأمة العرب، أو أمة الفرس، أو أمة الروم، ومرة تطلق كلمة ﴿أُمَّةٌ﴾ ويراد بها الملة أي الدين، ومرة ثالثة تطلق كلمة ﴿أُمَّةٌ﴾ ويراد بها الفترة الزمنية كقول الحق: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾(٣٩)، فان الرجل الذي فسر لسيدنا يوسف عليه السلام الرؤيا تذكر بعد أمة، أي بعد فترة من الزمن، ومرة تطلق كلمة ﴿أُمَّةً﴾ على الرجل الجامع لصفات الخير. قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٤٠)، لأن خصال الخير ليس من الضروري أن تجتمع في واحد، ولكنها قد تجتمع في عدد من الأفراد، فيكون هناك فلان المتميز بالصفة الطيبة، وغيره متصف بصفة أخرى طيبة، وثالث فيه صفات طيبة ثالثة، ومن مجموع الأمة تظهر صورة الكمال، لكن إبراهيم عليه السلام اجتمعت فيه كل خصال الخير المكتمل(٤١).

أما قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾[٤٢]، فمعنى الدعاء إلى الخير، الدعاء إلى الإسلام، وبث دعوة النبي ﷺ، فان الخير يجمع خصال الإسلام، ولذلك يكون عطف الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر عليه، منعطف الشيء على مغايره، وهو أصل العطف، وقيل: أريد بالخير ما يشمل جميع الخيرات، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيكون العطف من عطف الخاص على العام للاهتمام به، وحذفت مفاعيل يدعون ويأمرون وينهون لقصد التعميم، أي يدعون كل أحدٍ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾[٤٣][٤٤]. وقد اشتمل قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[٤٥]على التكليف بثلاث أشياء، أولها: الدعوة إلى الخير، ثم الأمر بالمعروف، ثم النهي عن المنكر، ولأجل العطف يجب كون هذه الثلاثة متغايرة، أما الدعوة إلى الخير فأفضلها الدعوة إلى إثبات الله وصفاته وتقديسه عن مشابهة الممكنات، وإنما قلنا: إن الدعوة إلى الخير تشتمل على ما ذكرنا لقوله تعالى:﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ﴾[٤٦]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾[٤٧]، فالدعوة إلى الخير جنس تحته نوعان، **أحدهما:** الترغيب في فعلما ينبغي وهو بالمعروف، **والثاني:** الترغيب في ترك مالا ينبغي، وهو النهي عن المنكر، فذكر الجنس أولا، ثم أتبعه بنوعيه مبالغة في البيان[٤٨]. والمعروف: هو ما يعرف، وهو مجاز في المقبول المرضي به، لأن الشيء إذا كان مألوفا مقبولا مرضيا به، وأريد به هنا ما يقبل عند أهل العقول وفي الشرائع، وهو الحق والصلاح، لأن ذلك مقبول عند انتفاء العوارض.والمنكر: مجاز في المكروه، والكره لازم للإنكار، لأن المنكر في أصل اللسان هو الجهل، ومنه تسمية غير المألوف نكرة، وأريد به هنا الباطل والفساد، لأنهما من المكروه في الجبلة عند انتفاء العوارض، والتعريف في (الخير، والمعروف، والمنكر) تعريف الاستغراق، فيفيد العموم في المعاملات بحسب ما ينتهي إليه العلم والمقدرة، فيشبه الاستغراق العرفي[٤٩].

فقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٥٠]، فيه مخاطبة للمؤمنين، وأمرهم أولا بالتقوى والإيمان، ثم أمرهم بالسعي في إلقاء الغير في الإيمان والطاعة، فقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٥١]، وهذا هو الترتيب الحسن الموافق للعقل[٥٢].ولا شك أن الأمر والنهي من أقسام القول والكلام، فالمكلف به هو بيان المعروف والأمر به، وبيان المنكر والنهي عنه، وأما امتثال المأمورين والمنهيين لذلك، فموكول إليهم أو إلى ولاة الأمور، الذين يحملونهم على فعل ما أمروا به، والمعروف والمنكر إن كانا ضروريين كان لكل مسلم أن يأمر وينهى فيهما، وإن كانا نظريين، فإنما يقوم بالأمر والنهي فيهما أهل العلم[٥٣].

ويقول الإمام الشعراوي رحمه الله: هذا القول: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[٥٤]، يعني أن يكون منكم أيها المخاطبون أنه تدعو إلى الخير، ومعناه أيضا أن تكونوا جميعا أمة تدعو إلى الخير، وبعض العلماء يرى أن هذا القول يعني: أن تكون منكم جماعة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولكن هناك فهما أعمق من هذا، وهو أن هذه الآية تأمر بأن تكون كل جماعة المسلمين أمة تدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، أي أن هذه الآية تطالب كل أمة المسلمين بذلك، فلا تختص جماعة منها فقط، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل الواجب أن تكون أمة المسلمين كلها آمرة بالمعروف، وناهية عن المنكر، فمن يعرف حُكماً من الأحكام عليه أن يأمر به.وهناك من العلماء من قال: إن الذي يأتي المنكر له حكم آخر أيضا، وهو أن ينهي غيره عن المنكر، أي أن الإنسان المؤمن مطالب بأمرين، الأول: ألا يصنع المنكر، والثاني: أن ينهى عن المنكر، ولذلك إن جاء نصح من إنسان ينهاك عن المنكر، وهو قد فعله، فلا تقل له: أصلح نفسك وأتبع أنت ما تنصح به أولا، لا تقل له حتى لا يقول لك ما قاله الشاعر: ٠

خذ بعلمي ولا تركن إلى عملي وأجن الثمار وخل العود للنار[٥٥]

لكن الأجدر بمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، أن يكون أول العاملين بقوله، حتى لا يدخل في زمرة من قال الله تعالى فيهم:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ٠ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[٥٦].

فقوله تعالى:﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾، أي جردوا من أنفسكم أمة مجتمعة على أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، واستمعوا إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ٠ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ٠ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾[٥٧]، فأن السورة الكريمة توضح العقيدة ومطلوبها، وهو الإيمان والعمل الصالح، وبعد ذلك قال الحق سبحانه: ﴿وَتَوَاصَوْاْ ﴾ ولم يقل {ووصوا} ما معنى ﴿وَتَوَاصَوْاْ ﴾؟ أي أن يعرف كل مؤمن أنه من الأغيار، وكذلك أخوه المؤمن، وقد يضعف أحدهما أمام معصية فيصنعها، لكن الآخر غير ضعيف أمام تلك المعصية، لذلك يكون على غير الضعيف توصية الضعيف، وعلى الضعيف أيضا ضرورة الانتباه حتى يتواصى مع غيره، فالإسلام لم يجعل جماعة يوصون غيرهم، وجماعة أخرى تتلقى الوصاية، بل كلنا موص- بكسر الصاد- حينما تجد من يضعف أمام معصية، وكلنا موصى- بفتح الصاد- حين يكون ضعيفا أمام المعصية، فالتواصي يقتضي التفاعل بين الجانبين، فمرة تكون موصيا، ومرة تكون موصى، وكذلك التواصي بالصبر.

فساعة تحدث كارثة لواحد من المسلمين يأتي أخوه ليصبره، وكذلك إن حدثت كارثة للأخ المسلم يصبره أخوه المسلم، فعندما يحتاج مسلم في وقت ما إلى أن يُصبّر، يجد من إخوته من يصبره، فالأمة كلها مطالبة بـ ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾[٥٨].هكذا نفهم معنى قول الحق: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[٥٩]، والدعوة إلى الخير يفسرها الحق بأن يأمر الإنسان بالمعروف، وأن ينهى عن المنكر[٦٠].أما قوله تعالى:﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٦١]، فهي جملة معطوفة على صفات ﴿أُمَّةٌ﴾[٦٢]، وهي التي تضمنتها جمل﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[٦٣]، والتقدير: وهم مفلحون، لأن البلاغ لما كان مسببا على تلك الصفات الثلاث جعل بمنزلة صفة لهم، ويجوز جعل جملة ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ حالا من ﴿أُمَّةٌ﴾، والواو للحال[٦٤].والمقصود بشارتهم بالفلاح الكامل إن فعلوا ذلك، وكان مقتضى الظاهر فصل هذه الجملة عما قبلها بدون عطف، مثل فصل جملة:﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾[٦٥]، لكن هذه عطفت أو جاءت حالا، لأن مضمونها جزاء على الجمل التي قبلها، فهي أجدر أن تلحق بها. ومفاد هذه الجملة قصر صفة الفلاح عليهم، فهو أما قصر إضافي بالنسبة لمن يقم بذلك مع المقدرة عليه، وأما قصر أريد به المبالغة لعدم الاعتداد في هذا المقام بفلاح غيرهم، وهو معنى قصد الدلالة على معنى الكمال[٦٦].

يقول الإمام الشعراوي رحمه الله: إن كلمة ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ هي كلمة معها دليلها، فالمفلح هو الذي أخذ الصفقة الرابحة، والكلمة مأخوذة من فلح الأرض، فالذي يفلح الأرض ويحرثها ثم يزرعها، يجد الثمرة تجيئه في النهاية، وقد جاء الحق بالمسألة المعنوية من أمر محس، وبعد ذلك يريد الحق سبحانه أن يعطينا شيئا آخر فيقول: إياك أن تظن أن المشقة التي تصيبك حين تفعل خيرا لا تعود عليك بالراحة، أو أن النقص الذي تفعل به الخير لا يعود عليك بالكمال، فمثلا الإنسان الذي فلح الأرض، وأخرج كيلة من القمح وبذرها فيها، هذا الإنسان قد تكون له زوجة حمقاء تقول له: أننا لا نملك إلا أربع كيلات من القمح، فكيف تأخذ كيلة لترميها في الأرض، إن هذه المرأة لا تعرف أن الكيلة التي أخذها الزوج هي التي ستأتي بعدد من الأرداب من القمح.فإياك أن تفهم أن الإسلام يأخذ منك شيئا إلا وهو يريد أن يعطيك أشياء، فالفلاح الذي يشقى بالحرث وبالري، وتراه وقد علا جبهته العرق وتراب الأرض، وتغوص أقدامه في الطين والمياه، انك تراه يوم الحصاد وهو فرح مسرور بغلته، أما غيره الذي لم يشق بالحرث، ولم تعل جبهته حبات العرق، فيأتي في هذا اليوم وهو حزين ونادم، فإياك أن تنظر إلى تكاليف الدين على أنها أمور تحرمك النفع، إنها أمور تربب لك النفع، وإياك أن تظن أن حكما من أحكام الله تعالى قد جاء ليجور على حريتك، بل

جاء ليمنع عنك اعتداء الآخرين.إذن فيجب أن نذكر أن كل تكليف يعطي صلاحا وفلاحا، فالأرض تأخذ الحبة وتعطيك ﴿سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖ﴾[٦٧]، فلا تنظر إلى ما أخذه التكليف من حريتك، لأنه أخذ لك من حريات الآخرين أيضا، ولا تقل: إن التكليف قد نقص حركتي لنفسي، لأنه سيعطيك ثمرات أكثر مما أفقدك[٦٨].

المطلب الثاني: في كون الرسالة سبباً لهداية الناس وإرشادهم إلى الله تعالى

تضمنت سورة إبراهيم عدة حقائق رئيسية في العقيدة، ولكن حقيقتين كبيرتين تظلان في جو السورة كلها، وهما الحقيقتان المتناسقتان مع ظل إبراهيم عليه السلام في جو السورة، حقيقة وحدة الرسل والرسالة، ووحدة دعوتهم، ووقفتهم أمة واحدة في مواجهة الجاهلية المكذبة بدين الله تعالى، على اختلاف الأمكنة والأزمان، وحقيقة نعمة الله تعالى على البشر وزيادتها بالشكر، ومقابلة أكثر الناس لها بالجحود والكفران. فوظيفة الرسول وما أوتيه من كتاب، هي إخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن الله تعالى، ولذلك أرسل موسى عليه السلام بمثل ما أرسل به محمد ﷺ، ولمثل ما أرسل به، حتى في ألفاظ التعبير[٦٩].قال تعالى:﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾[٧٠].فانه تعالى لما بين أنه إنما أرسل محمدا ﷺ إلى الناس ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وذكر كمال أنعامه عليه وعلى قومه في ذلك الإرسال وفي تلك البعثة، أتبع ذلك يشرح بعثة سائر الأنبياء الى أقوامهم، وكيفية معاملة أقوامهم معهم، تصبيرا للرسول ﷺ على أذى قومه، وإرشادا له إلى كيفية مكالمتهم ومعاملتهم، فذكر تعالى على العادة المألوفة قصص بعض الأنبياء عليهم السلام، فبدأ بذكر قصة موسى عليه السلام[٧١] فقال:﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾[٧٢].وقد ذكر الله تعالى في صفة محمد ﷺ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[٧٣]، وقال في حق موسى عليه السلام:﴿أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[٧٤]، والمقصود من البعثة واحد في حق جميع الأنبياء عليهم السلام، وهو أن يسعوا في إخراج الخلق من ظلمات الضلالات إلى أنوار الهدايات[٧٥].

فقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا﴾[٧٦] تأكيد للإخبار عن إرسال موسى عليه السلام بلام القسم، وحرف التحقيق، لتنزيل المنكرين رسالة محمد ﷺ منزلة من ينكر رسالة موسى عليه السلام، لأن حالهم في التكذيب برسالة محمد صلى الله عليه وسلم يقتضي ذلك التنزيل، لأن ما جاز على المثل يجوز على المماثل[٧٧].

والباء في﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ للمصاحبة، أي إرسال مصاحباً للآيات الدالة على صدقه في رسالته، كما أرسل محمد ﷺ مصاحباً لآية القرآن، الدال على أنه من عند الله تعالى، فقد تم التنظير، وأنتهض الدليل على المنكرين[٧٨].

و﴿أَنْ﴾ ههنا تصلح أن تكون مفسرة بمعنى أي، ويكون المعنى: ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أي أخرج قومك، كأن المعنى قلنا له: أخرج قومك، ومثله قوله تعالى:﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا ﴾(٧٩)، أي امشوا، والتأويل قيل لهم امشوا، وتصلح أيضا أن تكون المخففة التي هي للخبر، والمعنى: أرسلناه بأن يخرج قومه، إلا إن الجار حذف، ووصلت ﴿أَنْ﴾ بلفظ الأمر، ونظيره قولك: كتبت إليه أن قم، وأمرته أن قم(٨٠). والباء في ﴿آيَاتِنَا﴾ للمصاحبة، أي إرسال مصاحباً للآيات الدالة على صدقه في رسالته، كما أرسل محمد ﷺ مصاحبا لآية القرآن الدال على أنه من عند الله تعالى، فقد تم التنظير، وأنتهض الدليل على المنكرين(٨١).

والمراد من قوله تعالى: ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ ﴾ أي الآيات التي أرسلها الله تعالى مع موسى عليه السلام، والمعجزات التي حدثت معه وبينها وأظهرها لقومه كثيرة، ورسولنا ﷺ نزل ومعه معجزة واحدة وهي القرآن، أما بقية المعجزات الحسية التي حدثت مع رسول الله ﷺ، فهي جاءت لتثبيت فؤاد المؤمنين برسالته، ولم يبق لها أثر من بعد ذلك إلا الذكرى النافعة التي يأنس بها الصالحون من عباد الله.

وكثرة المعجزات التي جاءت مع موسى عليه السلام تبين أن القوم الذين أرسل لهم قوم لجج وجدل، وحين عدد العلماء المعجزات التي جاءت مع موسى عليه السلام وجدها بعض العلماء تسع آيات، ووجدها غيرهم ثلاث عشرة معجزة، ووجدها بعض ثالث أربع عشرة معجزة(٨٢).

وفي التحقيق لمعرفة تلك الآيات علينا أن نفرق بين الآيات التي صدرت بالنسبة لفرعون، والآيات التي جاءت لبني إسرائيل، فالعصا التي انقلبت حية تسعى، واليد التي تضيء هي لفرعون، وعدد القرآن الآيات التي جاءت مع موسى عليه السلام لفرعون بتسع آيات، قال تعالى:﴿ فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ﴾(٨٣)، ولم يكن موسى عليه السلام يطلب من فرعون أن يؤمن، فهو لم يرسل لهدايته، ولكنه جاء ليفحمه، وليأخذ بني إسرائيل المرسل إليهم، والآيات هي: العصا، ووضع اليد في الجيب لتخرج بيضاء، ونقص الأنفس والثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، فهذه هي الآيات التسع الخاصة بفرعون، أما بقية الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام لبني إسرائيل فهي كثيرة، مثل: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ ﴾(٨٤)، ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾(٨٥)، ولذلك أجمل الحق سبحانه الآيات التي جاءت مع موسى عليه السلام لقومه: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾(٨٦) (٨٧).

و﴿ٱلظُّلُمَـٰتِ ﴾ مستعار للشرك والمعاصي، و﴿ٱلنُّورِ ﴾ مستعار للإيمان والحق والتقوى، وذلك أن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد في مصر بعد وفاة سيدنا يوسف عليه السلام، سرى إليهم

الشرك، وأتبعوا دين القبط، فكانت رسالة موسى عليه السلام لإصلاح اعتقادهم مع دعوة فرعون وقومه للإيمان بالله الواحد، وكانت آيلة لإخراج بني إسرائيل من الشرك والفساد، وإدخالهم في حظيرة الإيمان والصلاح(٨٨).

أما قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ﴾(٨٩)، فالتذكير: إزالة نسيان شيء، ويستعمل في تعليم مجهول كأن شأنه أن يعلم، ولما ضمن التذكير معنى الإنذار والوعظ عُدّيَ بالباء، أي ذكركم تذكير عظة بأيام الله تعالى.

و﴿أَيَّامِ اللّهِ﴾، أيام ظهور بطشه وغلبه من عصوا أمره، وتأييده المؤمنين على عدوهم، فان ذلك كله مظهر من مظاهر عزة الله تعالى، وشاع إطلاق اسم اليوم مضافا إلى اسم شخص أو قبيلة على يوم انتصر فيه مسمى المضاف إليه على عدوه، يقال: أيام تميم، أي أيام انتصارهم(٩٠).

والمعنى: عظهم بالترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، فالترغيب والوعد أن يذكرهم ما أنعم الله عليهم وعلى من قبلهم ممن آمن بالرسل، ممن سلف من الأمم فيما سلف من الأيام، مثل ما نزل بعاد وثمود وغيرهم من العذاب، ليرغبوا في الوعد فيصدقوا، ويحذرهم من الوعيد فيتركوا التكذيب، فأن أيام الله في حق موسى عليه السلام منها ما كان أيام المحنة والبلاء، وهي الأيام التي كانت بنو إسرائيل فيها تحت قهر فرعون، ومنها ما كان أيام الراحة والنعماء، مثل إنزال المن والسلوى، وانفلاق البحر، وتضليل الغمام(٩١).

ويقول العلامة إبن عاشور:

إن المراد بـ ﴿**أَيَّامِ اللّهِ**﴾ أيام ظهور قدرته، وإهلاكه الكافرين به، ونصرة أولياءه والمطيعين له، وهي الأيام التي أنجى الله فيها بني إسرائيل من أعدائهم، ونصرهم وسخر لهم أسباب الفوز والنصر، وأغدق عليهم النعم في زمن موسى عليه السلام، فان ذلك كله مما أمر موسى عليه السلام بأن يذكرهموه، وكله يصح أن يكون تفسيرا لمضمون الإرسال، لأن إرسال موسى عليه السلام ممتد زمنه، وكلما أوحى الله تعالى إليه بتذكير في مدة حياته، فهو من مضمون الإرسال الذي جاء به مشمول لتفسير الإرسال، فقول موسى عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾(٩٢)، هو من تذكير الله المفسر به إرسال موسى عليه السلام وهو إن كان واقعا بعد ابتداء رسالته بأربعين سنة، فما هو إلا تذكير صادر في زمن رسالته، وهو من التذكير بأيام الله العظيمة، التي أعطاهم، وما كانوا يحصلونها لولا نصر الله إياهم، وعنايته بهم ليعلموا أنه رُبَّ ضعيف غلب قويا ونجا بضعفه، ما لم ينج مثله القوي في قوته(٩٣).

واسم الإشارة في قوله تعالى:﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ﴾[٩٤] عائد إلى ما ذكر من الإخراج والتذكير، فالإخراج من الظلمات بعد توغلهم فيها، وانقضاء الأزمنة الطويلة عليها، آية من آيات قدرة الله وعزته، وتأييد من أطاعه، وكل ذلك آيات كائنة في الإفراج والتذكير على اختلاف أحواله، وقد أحاط بمعنى هذا الشمول حرف الظرفية من قوله تعالى:﴿فِي ذَٰلِكَ ﴾، لان الظرفية تجمع أشياء مختلفة يحتويها الظرف، ولذلك كان لحرف الظرفية هنا موقع بليغ، ولكون الآيات مختلفة، بعضها آيات موعظة وزجر، وبعضها آيات منة وترغيب، جعلت متعلقة بـ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[٩٥]، اذ الصبر المناسب للزجر، لأن التخويف يبعث النفس على تحمل معاكسة هواها، خيفة الوقوع في سوء العاقبة، والإنعام يبعث النفس على الشكر، فكأن الصفتين توزيعا لما أجمله ذكر أيام الله تعالى، من أيام بؤس وأيام نعيم[٩٦].

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[٩٧]، أي إن في ذلك التذكير والتنبيه دلائل لمن كان صبارا شكورا، لان الحال إما أن يكون حال محنة وبلية، أو حال منحة وعطية، فان كان الأول، كان المؤمن صباراً، وان كان الثاني، كان شكوراً، وهذا تنبيه على أن على أن المؤمن يجب أن لا يخلو زمانه عن أحد هذين الأمرين، فان جرى الوقت على ما يلائم طبعه ويوافق إرادته كان مشغولا بالشكر، وان جرى بمالا يلائم طبعه كان مشغولا بالصبر[٩٨].

والصبَّار هو من يكثر الصبر على الأحداث، وهي كلمة توحي بأن هناك أحداثا مؤلمة وقعت، وتحتاج إلى الصبر عليها، كما توحي كلمة﴿شَكُورٍ ﴾ بحوادث منعمة تستحق الشكر[٩٩].

وإنما خص الشكور والصبور بالاعتبار في الآيات وان كان فيها عبرة للكافة، لأنهم هم المنتفعون بها دون غيرهم، فلهذا خصهم بالآيات، فكأنها ليست لغيرهم، فهو كقوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[١٠٠]، ولأن الانتفاع بالآيات لا يمكن حصوله إلا لمن يكون صابرا شاكرا، أما من لم يكن كذلك فلا ينتفع بها البتة[١٠١].

وهكذا نجد أن المؤمن يحتاج إلى أمرين، صبر على ما يؤلم، وشكر على ما يرضي، وحين تجتمع هاتان الصفتان في مؤمن، يكون مكتمل الإيمان، فهذه الآية دليل يوضح الطريق أمام المؤمن، وتعطي له العبرة، لأنه حين يعلم تأريخ الأقوام السابقة، ويجد من آمن منهم قد عانى من بعض الأحداث المؤلمة، لكنه نال رضا الله تعالى ونعمه، ومَنْ كفر منهم قد تمتع قليلا، ثم تلقى نقمة الله تعالى وغضبه[١٠٢].

المطلب الثالث: بيان القرآن من قبل النبي والوعظ به وإيقاظ القلوب الغافلة عنه

يبدو السياق للآيات في سورة النحل وكأنه جملة ضخمة للتوجيه والتأثير، واستجابة للعقل والضمير، جملة هائلة الإيقاع، ولكنها متعددة الأوتار، ليست في جلجلة الآيات الأخرى، ولكنها في هدوئها تخاطب كل حاسة وكل جارحة في الكيان البشري، وتتجه إلى العقل الواعي، كما تتجه إلى الوجدان الحساس، إنها تخاطب العين لترى، والأذن لتسمع، واللمس ليستشعر، والوجدان ليتأثر، والعقل ليتدبر، وتحشد الكون كله، سماءه وأرضه، وشمسه وقمره، وليله ونهاره، وجباله وبحاره، وفجاجه وأنهاره، وظلاله وأكنانه، نبته وثماره، وحيوانه وطيوره، كما تحشد دنياه وآخرته، وأسراره وغيوبه... كلها أدوات توقع بها على أوتار الحواس والجوارح، والعقول والقلوب، مختلف الإيقاعات التي لا يصمد لها، فلا يتأثر بها العقل المغلق، والقلب الميت، والحس الطموس، من خلال بيان وظيفة الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وما معه من الذكر، وذلك تمهيداً لإنذار المكذبين به ما يتهددهم من هذا التكذيب[١٠٣].

فقال تعالى: ﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١٠٤]. فقد استهل الحق سبحانه الآية بقوله:﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ﴾، وقد اختلف في المعنى الجالب لهذه الباء، فقيل المعنى:﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ ﴾[١٠٥]،﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ﴾[١٠٦]،﴿إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾[١٠٧]، أرسلناهم ﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ﴾، وقيل: الذكر بمعنى العلم في قوله تعالى:﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ ﴾[١٠٨]، يعني أهل العلم، والمعنى فسئلوا أهل الذكر الذي هو العلم بالبينات والزبر، ﴿إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[١٠٩]، أنتم ذلك[١١٠].

وبعد أن أرشدهم الله تعالى، من شك في كون الرسل كانوا بشرا، إلى سؤال أصحاب الكتب المتقدمة من الأنبياء الذين سلفوا ، هل كان أنبياؤهم بشرا أم ملائكة؟ ذكر تعالى أنه أرسلهم: ﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ﴾، فالباء للمصاحبة، أي مصحوبين بالبينات والزبر، فالبينات دلائل الصدق من معجزات أو أدلة عقلية، وقد أجتمع ذلك في القرآن، وافترق بين الرسل والأنبياء، كما تفرق منه كثير لرسولنا ﷺ[١١١].

ويقول الإمام الشعراوي رحمه الله تعالى:

البينات: هي الأمر البين الواضح الذي لا يشك فيه أحد، وهو إما أن يكون إمارة ثبوت صدق الرسالة، كالمعجزة التي تتحدى المكذبين أن يأتوا بمثلها، أو هي الآيات الكونية التي تلفت الخلق إلى وجود الخالق سبحانه وتعالى، مثل الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم[١١٢].

و﴿وَٱلزُّبُرِ ﴾: جمع زبور، وهو مشتق من الزبر، أي الكتابة، أو الكتب المكتوبة، ولا يكتب عادة إلا الشيء النفيس مخافة أن يضيع، وليس هنا أنفس مما يأتينا من منهج الله تعالى لينظم لنا

حركة حياتنا، فالزبر: الكتب التي كتب فيها ما أوحي إلى الرسل، مثل صحف إبراهيم عليه السلام، والتوراة، وما كتبه الحواريون من الوحي إلى عيسى عليه السلام، وان لم يكتبه عيسى عليه السلام(١١٣).

ولعل عطف الزبر على﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ عطف تقسيم بقصد التوزيع، أي بعضهم مصحوب بالثبات، وبعضهم بالأمرين، لأنه قد تجيء رسل بدون كتب، فلم يذكر الله تعالى لنوح عليه السلام كتابا، وقد تجعل الزبر خاصة بالكتب الوجيزة التي ليست فيها شريعة واسعة، مثل صحف إبراهيم وزبور داود عليهما السلام، والإنجيل كما فسروها به في سورة فاطر(١١٤).

فقوله تعالى: ﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ﴾ لفظة جامعة لكل ما تكامل به الرسالة، لأن مدار أمرها على المعجزات الدالة على صدق من يدعي الرسالة، وهي البينات، وعلى التكاليف التي يبلغها الرسول من الله تعالى إلى العباد وهي الزبر(١١٥).

وبعد أن اتضحت الحجة بشواهد التاريخ الذي لا ينكر، ذكرت النتيجة المقصودة، وهو أن ما انزل على محمد ﷺ إنما هو ذكر، وليس أساطير الأولين(١١٦)، فقال:﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ ﴾(١١٧). فالذكر الكلام الذي شأنه أن يذكر، أي يتلى ويكرر(١١٨).

ويقول الإمام الشعراوي رحمه الله تعالى:

كلمة الذكر وردت كثيرا في القرآن الكريم بمعان متعددة، وأصل الذكر أن يظل الشيء على البال بحيث لا يغيب، وبذلك يكون ضده النسيان.. إذن: عندنا ذكر ونسيان، فكلمة ((ذكر)) هنا معناها وجود شيء لا ينبغي نسيانه، فما هو؟

إن الحق سبحانه وتعالى حينما خلق آدم عليه السلام، أخذ العهد على كل ذرة فيه، فقال تعالى:﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدۡنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾(١١٩).

وأخذ العهد على آدم عليه السلام هو عهد على جميع ذريته، ذلك لأن في كل واحد من بني آدم ذرة من أبيه آدم عليه السلام، وجزءً حياً منه نتيجة التوالد والتناسل من لدن آدم عليه السلام حتى قيام الساعة، وما دمنا كذلك فقد شهدنا أخذ العهد:﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ ﴾(١٢٠)، وكأن كلمة ((ذكر)) جاءت لتذكرنا بالعهود المطمورة في تكويننا، والذي ما كان أن ننساه، فلما حدث النسيان، اقتضى الأمر إرسال الرسل، وإنزال الكتب لتذكرنا بعهد الله تعالى لنا: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾(١٢١)، ومن هنا سمينا الكتب المنزلة ذكرا، لكن الذكر يأتي تدريجيا وعلى مراحل، فكل رسول يأتي ليذكر قومه على حسب ما لديهم من غفلة، أما الرسول الخاتم ﷺ الذي جاء للناس كافة إلى قيام الساعة، فقد جاء بالذكر الحقيقي الذي لا ذكر بعده، وهو القرآن الكريم(١٢٢).

وقد تأتي كلمة **﴿الذِّكْر﴾** بمعنى الشرف والرفعة، كما في قوله تعالى للعرب: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾[١٢٣]، وقد أصبح للعرب مكانة بالقرآن، وعاشت لغتهم بالقرآن، وتبوؤوا مكانة الصدارة بين الأمم بالقرآن، وقد يأتي الذكر من الله للعبد، وقد يأتي من العبد لله تعالى، كما في قوله سبحانه: ﴿فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[١٢٤]، والمعنى: فاذكروني بالطاعة والإيمان أذكركم بالفيوضات والبركة، والإمداد بثوابي.

وإذا أطلقت كلمة **﴿الذِّكْر﴾** انصرفت إلى ما نزل على رسول الله ﷺ، لأنه الكتاب الجامع لكل ما نزل على الرسل السابقين، ولكل ما تحتاج إليه البشرية إلى أن تقوم الساعة، كما أن كلمة كتاب تطلق على أي كتاب، لكنها إذا جاءت بالتعريف (الكتاب) انصرفت إلى القرآن الكريم، وهذا ما نسميه (علم بالغلبة). والذكر هو القرآن الذي نزل على محمد ﷺ، وهو معجزته الخالدة في الوقت نفسه، فهو منهج ومعجزة، وقد جاءت الرسل السابقون بمعجزات لحالها، وكتب لحالها، فالكتاب منفصل عن المعجزة، فموسى عليه السلام كتابه التوراة، ومعجزته العصا، وعيسى عليه السلام كتابه ونهجه الإنجيل، ومعجزته إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى بإذن الله تعالى، أما محمد ﷺ فمعجزته هي نفس كتاب منهجه، لا ينفصل أحدهما عن الآخر، لتظل المعجزة مساندة للمنهج إلى قيام الساعة، وهذا هو السر في أن الحق تبارك وتعالى تكفل بحفظ القرآن وحمايته فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[١٢٥]، أما الكتب السابقة فقد عهد إلى التابعين لكل رسول منهم بحفظ كتابه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[١٢٦]، ومعنى ﴿ٱسْتُحْفِظُوا۟﴾ أي طلب منهم أن يحفظوا التوراة، وهذا أمر تكليف قد يطاع وقد يعصى، والذي حدث أن اليهود عصوا وبدلوا وحرفوا في التوراة، أما القرآن فقد تعهد الله تعالى بحفظه، ولم يترك هذا لأحد، لأنه الكتاب الخاتم إلى سيصاحب البشرية إلى قيام الساعة.

ومن الذكر أيضا ما جاء به الرسول ﷺ مع القرآن، وهو الحديث الشريف، فللرسول مهمة أخرى، وهي منهجه الكلامي وحديثه الشريف، الذي جاء من مشكاة القرآن مبينا له وموضحا له[١٢٧].

أما قوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[١٢٨]، فظاهر هذا الكلام يقتضي أن هذا الذكر مفتقر إلى بيان رسول الله ﷺ، والمفتقر الى البيان مجمل، فظاهر هذا النص يقتضي أن القرآن كله مجمل، فلهذا المعنى قال بعضهم: متى وقع التعارض بين القرآن وبين الخبر، وجب تقديم الخبر، لأن القرآن مجمل، والدليل عليه هذه الآية، والخبر مبين له بدلالة هذه الآية، والمبين مقدم على المجمل.

والجواب: إن القرآن منه محكم، ومنه متشابه، والمحكم يجب كونه مبينا، فثبت أن القرآن ليس كله مجملا، بل فيه ما يكون مجملا، فقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ محمول على المجملات، كما وأن ظاهر هذه الآية يقتضي أن يكون الرسول ﷺ هو المبين لكل ما أنزله الله تعالى على المكلفين، فعند هذا قال نفاة القياس لو كان القياس حجة لما وجب على الرسول بيان كل ما أنزله الله تعالى على المكلفين من الأحكام، لاحتمال أن يبين المكلف ذلك الحكم بطريقة القياس، ولما دلت هذه الآية على أن المبين لكل التكاليف، والأحكام هو الرسول ﷺ، علمنا أن القياس ليس بحجة.

وأجيب عنه بأنه ﷺ لما بين أن القياس حجة، فمن رجع في تبيين الأحكام، والتكاليف إلى القياس، كان ذلك في الحقيقة رجوعا الى بيان الرسول ﷺ(١٢٩).

وفي الاقتصار على إنزال الذكر عقب قوله تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ إيماء إلى أن الكتاب المنزل على محمد ﷺ، هو بينة وزبورا معا، أي هو معجزة وكتاب شرع، وذلك من مزايا القرآن التي لم يشاركه فيها كتاب آخر، ولا معجزة أخرى، وقد قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(١٣٠) (١٣١). فالتبيين: إيضاح المعنى، والتعريف في (الناس) للعموم(١٣٢).

والخطاب للنبي ﷺ، أي: وأنزلنا عليك يا محمد ﷺ الذي هو القرآن، وإنما سماه ذكرا، لأن فيه مواعظ، وتنبيها للغافلين(١٣٣).

والإظهار في قوله تعالى:﴿مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ يقتضي أن ما صدق الموصول غير الذكر المتقدم، إذ لو كان إياه لكان مقتضى الظاهر أن يقال لتبينه للناس، ولذا فالأحسن أن يكون المراد بما نزل إليهم الشرائع التي أرسل الله بها محمد ﷺ، فجعل القرآن جامعا لها، ومبينا لها ببليغ نظمه ووفرة معانيه، فيكون في معنى قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾(١٣٤)، وإسناد التبيين إلى النبي ﷺ باعتبار أنه المبلغ للناس هذا البيان، والأمم على هذا الوجه لذكر العلة الأصلية في إنزال القرآن، وفسر ﴿مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ عين الذكر المنزل، أي أنزلنا إليك الذكر لتبينه للناس، فيكون إظهار في مقام الإضمار، لإفادة بأن إنزال الذكر إلى النبي ﷺ، هو إنزاله إلى الناس، كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾(١٣٥)، وإنما أتى بلفظه مرتين للإيماء إلى التفاوت بين الانزالين، فإنزاله إلى النبي ﷺ مباشرة، وإنزاله إلى إبلاغه إليهم.

فالمراد بالتبيين على هذا تبيين ما في القرآن المعاني، وتكون اللام لتعليل بعض الحكم الحافة بإنزال القرآن بأنها كثيرة، فمنها أن يبينه النبي ﷺ، فتحصل فوائد العلم والبيان، كقوله تعالى:﴿وَإِذْ

أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ ﴾[١٣٦]، وليس في هذه الآية دليل لمسائل تخصيص القرآن بالسنة، وبيان مجمل القرآن بالسنة، وترجيح دليل السنة المتواترة على دليل الكتاب والسنة هو تبيين النبي ﷺ، إذ هو واسطته[١٣٧].

ويقول الإمام الشعراوي رحمه الله تعالى:

في قوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾، جاء القرآن كتاب معجزة، وجاء كتاب منهج، إلا انه ذكر أصول هذا المنهج فقط، ولم يذكر التعريفات المنهجية والشروح اللازمة لتوضيح هذا المنهج، وإلا لطالت المسألة، وتضخم القرآن، وربما بعد عن مراده، فجاء القرآن بالأصول الثابتة، وترك للرسول ﷺ مهمة أن يبينه للناس، ويشرحه ويوضح ما فيه، وقد يظن البعض أن كل ما جاءت به السنة لا يلزمنا القيام به لأنه سنة يثاب على فعلها ولا يعاقب من تركها .. نقول:لا ..لا بد أن نفرق هنا بين سنية الدليل وسنية الحكم، حتى لا يلتبس الأمر على الناس.

فسنية الدليل تعني وجود فرض، إلا أن دليله ثابت من السنة، وذلك كبيان عدد ركعات الفرائض: الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء، فهذه ثابتة بالسنة وهي فرض.

أما سنية الحكم: فهي أمور وأحكام فقهية وردت عن رسول الله ﷺ، يثاب فاعلها، ولا يعاقب تاركها، فحين يبين الرسول بسلوكه وأسوته حكما ننظر: هل هي سنية الدليل فيكون فرضاً، أم سنية الحكم فيكون سُنة؟ ويظهر لنا هذا أيضا من مواظبة الرسول على هذا الأمر، فان واظب عليه والتزمه فهو فرض، وان لم يواظب عليه فهو سنة.

إذن: مهمة الرسول ليست مجرد مناولة القرآن وإبلاغه للناس، بل وبيان ما جاء فيه من المنهج الإلهي، فلا يستقيم هنا البلاغ دون بيان، ولا بد أن نفرق بين العطائين، العطاء القرآني، والعطاء النبوي، ويجب أن نعلم أن من الميزات التي ميز بها النبي ﷺ عن سائر إخوانه من الرسل السابقون يبلغون أوامر السماء فقط وانتهت المسألة، أما محمد ﷺ فقد قال الحق تبارك وتعالى في حقه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾[١٣٨].

إذن: أخذ ميزة التشريع، فأصبحت سنته هي التشريع الثاني بعد القرآن الكريم[١٣٩].

ثم يقول تعالى: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١٤٠]، ولهذا العطف حكمة أخرى من حكم إنزال القرآن، وهي تهيئة تفكر الناس فيه، وتأملهم فيما يقربهم إلى رضى الله تعالى، فعلى الوجه الأول في تفسير﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ﴾ يكون المراد أن يتفكروا بأنفسهم في معاني القرآن، وفهم فوائده، وعلى الوجه الثاني أن يتفكروا في بيانك ويعوه بإفهامهم[١٤١].

ويقول الإمام الشعراوي رحمه الله تعالى:

ومن رحمة الله تعالى بعباده أن يأمرهم بالتفكر والتدبر والنظر، ذلك لأنهم خلقه سبحانه، وهم أكرم عليه من أن يتركهم للضلال والكفر، بعد أن أكرمهم بالخلق والعقل، فأراد سبحانه أن يكرمهم إكراما آخر بالطاعة والإيمان، وكأنه سبحانه يقول لهم: ردوا عقولكم ونفوسكم عن كبرياء الجدل ولُجج الخصومة، وان كنتم لا تؤمنون بالبعث في الآخرة، وبما أعد للظالمين فيها من عقاب، فانظروا إلى ما حدث لهم، وما عجل لهم من عذاب في الدنيا.

ولا بد أن نفرق بين العقل والفكر، فالعقل هو الأداة التي تستقبل المحسنات وتميزها، وتخرج منها القضايا العامة التي ستكون هي المبادئ التي يعيش الإنسان عليها، والتي ستكون عبارة عن معلومات مختزنة، أما الفكر فهو أن تفكر في هذه الأشياء لكي تستنبط منها الحكم، والله سبحانه وتعالى ترك لنا حرية التفكير وحرية العقل في أمور دنيانا، لكنه ضبطنا بأمور قسرية يفسد العالم بدونها، فالذي يفسد العالم أن نترك ما شرعه الله لنا، والباقي الذي لا يترتب عليه ضرر يترك لنا فيه مجالا للتفكير والتجربة، لأن الفشل فيه لا يضر، فما أراده الله حكما قسريا فرضه بنص صريح لا خلاف فيه، وما أراده على وجوه متعددة يتركه للاجتهاد، حيث يحتمل الفعل فيه أوجها متعددة، ولا يؤدي الخطأ فيه إلى فساد(١٤٢).

المطلب الرابع: الخطاب لأمهات المؤمنين وحثهن على الائتمار والانتهاء

تضمنت سورة الأحزاب درسا خاصا بأزواج النبي ﷺ، وقد سبق في أوائل السورة تسميتهن (أمهات المؤمنين)، ولهذه الأمومة تكاليفها، وللمرتبة السامية التي استحققن بها هذه الصفة تكاليفها، ولمكانتهن من رسول الله ﷺ تكاليفها، وفي هذا الدرس بيان لشيء من هذه التكاليف، وإقرار للقيم التي أراد الله تعالى لبيت النبوة الطاهر أن يمثلها وأن يقوم عليها، وأن يكون فيها منارة يهتدي بها السالكون، فبين لأمهات المؤمنين اختصاصهن بما ليس لغيرهن من النساء، ويقرر واجباتهن في معاملة الناس، وواجبهن في عبادة الله تعالى، وواجبهن في بيوتهن، ويحدثهن عن رعاية الله الخاصة لهذا البيت الكريم، وحياطته وصيانته من الرجس، ويذكرهن بما يتلى في بيوتهن من آيات الله تعالى والحكمة، مما يلقي عليهن تبعات خاصة، ويفردهن بين نساء العالمين(١٤٣).

ولمّا ضمن الله تعالى لهن العظمة، أمرهن بالتخلي بأسبابها، والتملي من آثارها، والتزود من علم الشريعة، بدراسة القرآن، ليجمع ذلك اهتداءهن في أنفسهن ازدياد الكمال والعلم، وإرشادهن الأمة إلى ما فيه صلاح لها من علم النبي ﷺ(١٤٤).

فقال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾(١٤٥).

فقوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾، الفعل﴿ وَٱذۡكُرۡنَ ﴾ يجوز أن يكون من الذكر بضم الذال، وهو التذكر، وهذه كلمة جامعة تشمل المعنى الصريح منه، وهو أن لا ينسين ما جاء في القرآن، ولا يفعلن عن العمل به، ويشمل المعنى الكنائي، وهو أن يراد مراعاة العمل بما يتلى في بيوتهن مما ينزل فيها، وما يقرأه النبي ﷺ فيها، وما يبين فيها من الدين، ويشمل معنى كنائيا ثانيا، وهو تذكر تلك النعمة العظيمة إن كانت بيوتهن موقع تلاوة القرآن، ويجوز أن يكون من الذكر بكسر الذال، وهو إجراء الكلام على اللسان، أي بلغته للناس، بأن يقرأن القرآن، ويبلغن أقوال النبي ﷺ وسيرته، وفيه كناية عن العمل به(١٤٦).

والتلاوة: القراءة، أي إعادة كلام مكتوب أو محفوظ، أي ما يتلوه الرسول ﷺ(١٤٧).

وقوله تعالى:﴿ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِ ﴾(١٤٨) بيان لما يتلى، فكل ذلك متلو، وذلك القرآن، وقد بين المتلو بشيئين: هما آيات الله والحكمة، فآيات الله يعم القرآن كله، لأنه معجز عن معارضته، فكان آية على أنه من عند الله تعالى(١٤٩).

أما قوله تعالى:﴿وَٱلۡحِكۡمَةِ ﴾، فقيل هي السنة، أي كلمات النبي ﷺ، وفيه إشارة من أن التكاليف غير منحصرة في الصلاة والزكاة، وما ذكر الله تعالى في هذه الآية فقال:﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ ﴾، ليعلمن الواجبات كلها فيأتين بها، والمحرمات بأسرها فينتهين عنها(١٥٠). وقيل: هي أحكام القرآن ومواعظه(١٥١).

فقوله تعالى:﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِ ﴾، أي اذكرن للناس بطريق العظة والتذكير من الكتاب الجامع بين كونه آيات الله الدالة على صدق النبوة بنظمه المعجز، وكونه حكمة منطوية على متون العلم والشرائع، وهذا تذكير بما أنعم عليهن، حيث جعلهن أهل بيت النبوة، ومهبط الوحي، حثاً على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به، والتعرض للتلاوة في البيوت، وهذا حث لهن على حفظ القرآن والأخبار، ومذاكرتهن بها، والإحاطة بحدود الشريعة، والخطاب وان اختص بهن، فغيرهن داخل فيه، لأن مبنى الشريعة على هذين: القرآن والسنة، أو بها يوقف على حدود الله ومفترضاته، وأوامره وزواجره، والاعتصام بالكتاب والسنة يسعد المؤمن دنيا وآخرة(١٥٢).

وعطف﴿وَٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ عطف خاص على العام، وهو ما كان من القرآن مواعظا وأحكاما شرعية، أي ما يتلى في بيوتهن عند نزوله، أو بقراءة النبي ﷺ، ودراستهن القرآن، ليتجدد ما علمنه، ويلمع لهن من أنواره ما هو مكنون لا ينضب معينه، وليكنَّ مشاركات في تبليغ القرآن وتواتره، ولم يزل أصحاب الرسول ﷺ والتابعون بعدهم يرجعون إلى أمهات المؤمنين في كثير من

أحكام النساء، ومن أحكام الرجل مع أهله. وموقع مادة الذكر هنا موقع شريف، لتحملها هذه المحامل مالا يتحمله غيرها إلا بإطناب[١٥٣].

يقول الإمام ابن العربي[١٥٤] رحمه الله تعالى:

إن الله تعالى أمر نبيه ﷺ بتبليغ ما انزل عليه من القرآن، وتعليم ما علمه من الدين، فكان إذا قرأه على واحد أو ما تفق، سقط عنه الفرض، وعلى من سمعه أن يبلغه إلى غيره، وليس يلزمه أن يذكره لجميع الصحابة، ولا كان عليه إذا علَّم ذلك أزواجه أن يخرج إلى الناس فيقول لهم: نزل كذا، وكان كذا[١٥٥].

وجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[١٥٦]، تعليلا للأمر وتذييلا للجمل السابقة، والتعليل صالح لمحامل الأمر كلها، لأن اللطف يقتضي إسداء النفع بكيفية لا تشق على المسدى إليه، وفيما وجه إلى نساء النبي ﷺ من الأمر والنهي ما هو صلاح لهن، وإجراء الخير بواسطتهن، وكذلك في تيسيره إياهن لمعاشرة الرسول ﷺ، وجعلهن أهل بيوته، وفي إعدادهن لسماع القرآن وفهمه، ومشاهدة الهدي النبوي، كل ذلك لطف لهن هو الباعث إلى ما وجهه إليهن من الخطاب، ليتلقين الخبر ويبلغنه، لأن الخبير أي العليم إذا أراد، حصل مراده تاما لا خلل ولا غفلة.

فمعنى الجملة أنه تعالى موصوف باللطف والعلم، كما دل عليه فعل﴿كَانَ﴾ فيشمل عموم لطفه بهن، وعلمه بما فيه نفعهن[١٥٧].

وهو بليغ اللطف والبر بخلقه كلهم، بليغ العلم بالأشياء كلها، فيعلم ويدبر ما يصلح في الدين، ولذلك أمر ونهى، أو يعلم ما يصلح لغيره ومن يستأهل أن يكون من أهل بيته، وقيل: يعلم الحكمة حيث أنزل كتابه جامعا بين الوصفين، وقيل: عالما بما يصلح لأمر العباد، خبيرا بمصالحهم، وبذلك شرع ما يسعدهم في دنياهم وآخرتهم[١٥٨].

ويقول الإمام الشعراوي رحمه الله تعالى:

اللطف هو الدقة في تناول الأشياء وحسن تأتي الأمور، مهما كانت وسائلها ضيقة، وحسن التأتي للأمور يعني التغلغل في الأشياء مهما دقت. ووصف اللطيف يتممه وصف الخبير، فإذا كان اللطيف يعني الدقة في تناول الأشياء وحسن التأتي، فالخبرة تعني معرفة الموضع، فاللطف لا يتأتي إلا بالخبرة[١٥٩].

الخاتمة

ومما تقدم يمكن بيان أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذا البحث، وهي كالآتي:

١. ثبوت حكم الوجوب على الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل جيل بعد أصحاب رسول الله ﷺ، بطريق القياس لئلا يتعطل الهدى، فقد جعل الله علة خيرية

هذه الأمة؛ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقد يكون النهي عن المنكر مقدماً على الأمر بالمعروف في بعض الأحوال؛ لأن درء المفاسد مقدم على جلب المنافع.

٢. إن الدعوة إلى الخير تتفاوت، فمنها ما هو بيّن يقوم به كل مسلم، ومنها ما يحتاج إلى علم فيقوم به أهله، وهذا هو المسمى بفرض الكفاية، يعني إذا قام به بعض كفى عن قيام الباقين.

٣. إن التعريف في (الخير والمعروف والمنكر) تعريف الاستغراق، فيفيد العموم في المعاملات، بحسب ما ينتهي إليه العلم والمقدرة، فيشبه الاستغراق العرفي.

٤. إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أقسام القول أو الكلام، فالمكلف به هو بيان المعروف والأمر به، وبيان المنكر والنهي عنه.

٥. إن الكفر لا يليق بالمسلمين، وكتاب الله يتلى عليهم، وفيهم رسول يعلمهم، ويدعوهم إلى الله تعالى، والحرص على الإسلام حتى الوفاة ولقاء الله ﷻ.

٦. بيان حال هذه الأمة في الفضل على غيرها من الأمم، وأنها خير الأمم على الإطلاق، وان هذه الخيرية مشتركة بين أول هذه الأمة وآخرها، بالنسبة إلى غيرها من الأمم، وان كانت متفاضله في ذاتها، كما ورد في فضل الصحابة على غيرهم.

٧. إن الرسول هو مبلغ ومنذر وناصح ومبين، ولكنه لا يملك أن يأتي بخارقة إلا بإذن الله تعالى، وحين يشاء الله، لا حين يشاء هو أو قومه، ولا يملك كذلك أن يهدي قومه أو يضلهم، فالهدى والضلال متعلقان بسنة الله التي اقتضتها مشيئته المطلقة.

٨. إن وظيفة الرسول وما أوتيه من كتاب هي إخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن الله تعالى.

٩. إن الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم قد أرسلوا بمثل ما أرسل به محمد ﷺ، ولمثل ما أرسل به، حتى في ألفاظ التعبير.

١٠. عدم خلو زمن المؤمن من الصبر والشكر، ففي حال المحنة والبلية يكون صابرا، وفي حال المنحة والعطية يكون شاكرا.

١١. إن شكر النعمة سبب لزيادتها، وكفرانها سبب لزوالها، فمن اشتغل بشكر نعم الله تعالى زاده الله من نعمه، ومن كفر بها فهو جاهل، والجهل سبب لأعظم أنواع العقاب والعذاب.

١٢. بيان خصوصية رسالة موسى عليه السلام إلى قومه، بخلاف رسالة سيدنا محمد ﷺ، فهي لعموم الناس.

١٣. جواز الوعظ المرقق للقلوب، المقوي لليقين، الخالي من كل بدعة، والمنزه عن كل ضلالة وشبهه.

١٤. إن الأنبياء والرسل حينما بعثوا، إنما بعثوا بالحجج والدلائل التي تشهد لهم بالصدق، والكتب المشتملة على التشريع الرباني، وأنزل القرآن على النبي ﷺ ليبين للناس فيه ما نزل إليهم من أحكام ووعد ووعيد، قولا وفعلا.

١٥. إن الغاية من نزول القرآن الكريم هي من أجل أن يتأمل ويتفكر الخلق، وينظروا في حقائق الكون، وأسرار الحياة، فيهتدون ويفوزون بالنجاة في الدارين.

١٦. إن الرسول ﷺ مبين عن الله ﷻ مراده، مما أجمله في كتابه، مما لم يفصله القرآن الكريم.

١٧. التذكير بنعم الله تعالى على نساء النبي ﷺ، إذ صيرهن المولى سبحانه في بيوت يتلى فيها القرآن والحكمة، وهي كلام النبي ﷺ، والأمر بالتفكر بها والاتعاظ بمواعظ الله تعالى.

١٨. إن الخطاب في القرآن وان كان لنساء النبي ﷺ، فقد دخل غيرهن بالمعنى، وإنما خوطبت نساء النبي ﷺ تشريفا لهن، ليكونن قدوة لسائر نساء المؤمنين في الطهر والصبر والعفاف.

١٩. إن شرف المنزلة لنساء النبي ﷺ، وفضلهن عن سائر النساء الأخريات مشروطة بشرط التقوى، لاسيما لما خصهن الله تعالى من صحبه النبي ﷺ من جهة، ونزول القرآن في حقهن من جهة أخرى، وهذه درجة عالية.

٢٠. وأخيرا وليس آخرا أنه بالرغم من اهتمام الشرع بالوعظ والإرشاد، وحثه عليه، إلا أننا نجد كثير من الناس انصرفوا عنه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

هوامش البحث

(١) مقاييس اللغة: لابن فارس: ٩٦١، وينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن: للراغب الأصفهاني: ٦٠٠ (مادة وعظ).

(٢) مختار الصحاح: للرازي: ٧٢٩، والصحاح: للجوهري: ١١٨١/٣، ولسان العرب: لابن منظور: ٨٦٦/٤ (مادة وعظ).

(٣) سورة البقرة: من الآية ٢٧٥.

(٤) لسان العرب: لابن منظور: ٨٦٦/٤ (مادة وعظ).

(٥) سورة سبأ: من الآية ٤٦.

(٦) المصباح المنير: للفيومي: ٣٩٦ (مادة وعظ).

(٧) معجم مفردات ألفاظ القرآن: للراغب الأصفهاني: ٦٠٠ (مادة وعظ).

(٨) كتاب التعريفات: للجرجاني: ١٦٥.

(٩) لسان العرب: لابن منظور: ٨٦٦/٤ (مادة وعظ)

(١٠) مقاييس اللغة: لابن فارس: ٣٣٧ (مادة رشد).

(١١) ينظر: مقاييس اللغة: لابن فارس: ٣٧٧، ومعجم مفردات الفظ القرآن: للراغب الأصفهاني: ٢٢١، ولسان العرب: لابن منظور: ٥٧٠/٢ (مادة رشد).

(١٢) سورة البقرة: من الآية ١٨٦.

(١٣) السورة نفسها: من الآية ٢٥٦.

(١٤) مقاييس اللغة: لابن فارس: ٣٣٧، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن: للراغب الأصفهاني: ٢٢١ (مادة رشد).

(١٥) ينظر: تاج العروس: للزبيدي: ٩٥/٨، ومختار الصحاح: للرازي: ٢٤٣-٢٤٤، ولسان العرب: لابن منظور: ٥٧١/٢ (مادة رشد).

(١٦) سورة غافر: من الآية ٣٨.

(١٧) لسان العرب: لابن منظور: ٧٥١/٢ (مادة رشد).

(١٨) ينظر: تاج العروس: للزبيدي: ٩٨/٨، ومختار الصحاح: للرازي: ٢٤٣-٢٤٤، ولسان العرب: لابن منظور: ٢/ ٥٧٢ (مادة رشد).

(١٩) لسان العرب: لابن منظور:٥٧٢/٣ (مادة رشد).

(٢٠) ينظر: تاج العروس: للزبيدي: ٩٥/٨، ومختار الصحاح: للرازي: ٣٤٤، ولسان العرب: لابن منظور: ٧٥١/٢ (مادة رشد).

(٢١) لسان العرب: لابن منظور: ٧٥١/٢ (مادة رشد).

(٢٢) ينظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: ٤٢٩/١.

(٢٣) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

(٢٤) ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٣٦/٤.

(٢٥) سورة آل عمران: من الآية ١٠٤.

(٢٦) السورة نفسها: من الآية ١١٠.

(٢٧) سورة العصر: الآية ٣.

(٢٨) سورة النساء: من الآية ١٣٦.

(٢٩) ينظر: تفسير الخازن: ٢٨١/١، وينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٣٧/٤.

(٣٠) سورة آل عمران: من الآية ١١٠.

(٣١) سورة الحج: من الآية ٣٠.

(٣٢) سورة التوبة: من الآية ٤١.

(٣٣) السورة نفسها: من الآية ٢٩.

(٣٤) السورة نفسها: من الآية ١٢٢.

(٣٥) التفسير الكبير: ٨/ ٣١٤-٣١٥، وينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: لابن جزي: ١١٥-١١٦، وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ٥٣٥/١، وتنوير الأذهان: للبروسوي: ٢٦٢/١، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ٤/ ٣٨-٣٩.

(٣٦) التحرير والتنوير: ٣٨/٤.

(٣٧) سورة آل عمران: من الآية ١٠٤.

(٣٨) سورة الأعراف: من الآية ٣٨.

(٣٩) سورة يوسف: الآية ٤٥،

(٤٠) سورة النحل: الآية ١٢٠.

(٤١) ينظر: تفسير الخازن: ٢٨١/١، وتنوير المقباس: للفيروز آبادي: ٤٣، وتفسير الشعراوي: ٣/ ١٦٦٣.

(٤٢) سورة آل عمران: من الآية ١٠٤.

(٤٣) سورة يونس: من الآية ٢٥.

(٤٤) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٤/ ٤٠.

(٤٥) سورة آل عمران: من الآية ١٠٤.

(٤٦) سورة النحل: من الآية ١٢٥.

(٤٧) سورة يوسف: من الآية ١٠٨.

(٤٨) التفسير الكبير: للرازي: ٨/ ٣١٥، وينظر: تفسير الخازن: ٢٨١/١.

(٤٩) ينظر: تفسير النسفي: ٧٧، وتفسير الخازن: ١/ ٢٨١، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ٤/ ٤٠، وصفوة التفاسير: للصابوني: ٢١٥/١.

(٥٠) سورة آل عمران: من الآية ١٠٤.

(٥١) السورة نفسها.

(٥٢) التفسير الكبير: للرازي: ٣١٤/٨.

(٥٣) ينظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٤١/٤.

(٥٤) سورة آل عمران: من الآية ١٠٤.

(٥٥) البيت لم أعثر على قائلهِ.

(٥٦) سورة الصف: الآيتان ٢-٣.

(٥٧) سورة العصر: الآيات ١-٣.

(٥٨) سورة العصر: من الآية ٣.

(٥٩) سورة آل عمران: من الآية ١٠٤.

(٦٠) تفسير الشعراوي: ١٦٦٤/٣.

(٦١) سورة آل عمران: من الآية ١٠٤.

(٦٢) السورة نفسها.

(٦٣) سورة آل عمران: من الآية ١٠٤.

(٦٤) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٤١/٤.

(٦٥) سورة البقرة: من الآية ٥.

(٦٦) ينظر: تفسير النسفي: ٧٧، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ٤/ ٤٢.

(٦٧) سورة البقرة: من الآية ٢٦١.

(٦٨) تفسير الشعراوي: ١٦٦٤/٣.

(٦٩) ينظر: في ظلال القرآن: ٢٠٧٧/٤، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ١٣/ ١٨٨.

(٧٠) سورة إبراهيم: الآية ٥.

(٧١) التفسير الكبير: للرازي: ١٩/ ٦٤.

(٧٢) سورة إبراهيم: من الآية ٥.

(٧٣) السورة نفسها: من الآية ١.

(٧٤) السورة نفسها: من الآية ٥.

(٧٥) ينظر: التفسير الكبير: للرازي: ٦٤/١٩.

(٧٦) سورة إبراهيم: من الآية ٥.

(٧٧) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ١٨٨/١٣-١٨٩.

(٧٨) المصدر نفسه: ١٣/ ١٨٩.

(٧٩) سورة ص: من الآية ٦.

(٨٠) التفسير الكبير: للرازي:١٩/ ٦٤-٦٥، وينظر: جامع القرآن: للقرطبي: ٥/ ٢٤٠، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ١٣/ ١٨٩.

(٨١) تفسير الشعراوي: ٧٤٣٩/١٢.

(٨٢) ينظر: التفسير الكبير: للرازي: ١٩/ ٦٤، وتفسير الخازن: ٣/ ٢٩، والجامع لإحكام القرآن: للقرطبي: ٥/ ٢٤١، وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ٢/ ٧٠٦، وتفسير الشعراوي: ١٢/ ٧٤٣٩.

(٨٣) سورة النمل: من الآية ١٢.

(٨٤) سورة الأعراف: من الآية ١٧١.

(٨٥) سورة البقرة: من الآية ٥٧.

(٨٦) سورة إبراهيم: من الآية ٥.

(٨٧) ينظر: التفسير الكبير: للرازي: ٦٤/١٩، وتفسير الخازن: ٢٩/٣، والجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: ٥/ ٢٤١، وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ٧٠٦/٢، وتفسير الشعراوي: ١٢/ ٧٤٣٩.

(٨٨) ينظر: تفسير القرآن العظيم:: ٢/ ٧٠٦، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ١٨٩/١٣.

(٨٩)سورة إبراهيم: من الآية٥.

(٩٠) ينظر: التفسير الكبير: للرازي: ١٩/ ٦٥، وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ٧٠٦/٢، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ١٨٩/١٣.

(٩١) ينظر: التفسير الكبير: للرازي: ١٩/ ٦٥، وتفسير الخازن: ٣/ ٢٩، وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ٢/ ٧٠٦، وتفسير الشعراوي: ١٢/ ٧٤٣٩.

(٩٢) سورة المائدة: الآية ٢٠، ومن الآية ٢١.

(٩٣) التحرير والتنوير: ١٩٠/١٣.

(٩٤) سورة إبراهيم: من الآية ٥.

(٩٥) سورة إبراهيم: من الآية ٥.

(٩٦) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ١٩١/١٣.

(٩٧) سورة إبراهيم: من الآية ٥.

(٩٨) التفسير الكبير: للرازي: ١٩/ ٦٠.

(٩٩) تفسير الشعراوي: ١٢/ ٧٤٣٩.

(١٠٠) سورة البقرة: من الآية ٢.

(١٠١) التفسير الكبير: للرازي: ١٩/ ٦٥، وتفسير الخازن: ٢٩/٣، والجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: ٥/ ٢٤١.

(١٠٢) ينظر: تفسير الشعراوي: ١٢/ ٧٤٣٩.

(١٠٣) ينظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: ٤/ ٢١٥٨- ٢١٧٢.

(١٠٤) سورة النحل: الآية ٤٤.

(١٠٥) السورة نفسها: من الآية ٤٣.

(١٠٦) السورة نفسها: من الآية ٤٤.

(١٠٧) السورة نفسها: من الآية ٤٣.

(١٠٨) سورة النحل: من الآية ٤٣.

(١٠٩) السورة نفسها: من الآية ٤٤.

(١١٠) ينظر: التفسير الكبير: ٢٠/ ٢١١، وتفسير الخازن: ٣/ ٧٨، و الشعراوي: ١٣/ ٧٩٥٦.

(١١١) ينظر: تفسير الخازن: ٣/ ٧٨، والجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: ٥/ ٧٩،

(١١٢) تفسير الشعراوي: ١٣/ ٧٩٥٦.

(١١٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ٤/ ٧٧١، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ١٤/ ١٦٢، وتفسير الشعراوي: ١٣/ ٧٩٥٦.

(١١٤) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ١٤/ ١٦٢.

(١١٥) التفسير الكبير: للرازي: ٢٠/ ٢١١، وتفسير الخازن: ٣/٧٨-٧٩.

(١١٦) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ١٤/ ١٦٢.

(١١٧) سورة النحل: من الآية ٤٤.

(١١٨) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ١٤/ ١٦٢.

(١١٩) سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

(١٢٠) السورة نفسها: من الآية ١٧٢.

(١٢١) السورة نفسها: من الآية ١٧٢.

(١٢٢) تفسير الشعراوي: ١٣/ ٧٩٥٦.

(١٢٣) سورة الأنبياء: من الآية ١٠.

(١٢٤) سورة البقرة: من الآية ١٥٢.

(١٢٥) سورة الحجر: الآية ٩.

(١٢٦) سورة المائدة: من الآية ٤٤.

(١٢٧) تفسير الشعراوي: ١٣/ ٧٩٥٦.

(١٢٨) سورة النحل: من الآية ٤٤.

(١٢٩) التفسير الكبير: للرازي: ٢/ ٢١٢، وتفسير الخازن: ٣/٧٩، والجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: ٥/٧٩.

(١٣٠) سورة العنكبوت: الآيتان ٥٠-٥١.

(١٣١) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ١٤/ ١٦٣.

(١٣٢) المصدر نفسه.

(١٣٣) تفسير الخازن: ٣/ ٧٩.

(١٣٤) سورة النحل: من الآية ٨٩.

(١٣٥) سورة الأنبياء: من الآية ١٠.

(١٣٦) سورة آل عمران: من الآية ١٨٧.

(١٣٧) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ١٤/ ١٦٤.

(١٣٨) سورة الحشر: من الآية ٧.

(١٣٩) تفسير الشعراوي: ١٣/ ٧٩٥٦.

(١٤٠) سورة النحل: من الآية ٤٤.

(١٤١) ينظر: جامع البيان: للطبري: ٦/ ٤٩٨٤، وتفسير الخازن: ٣/ ٢٧٩، وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ٧٧١/٢، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ١٤/ ١٦٤.

(١٤٢) تفسير الشعراوي: ١٣/ ٧٩٥٦.

(١٤٣) ينظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: ٥/ ٢٨٥٣- ٢٨٥٧.

(١٤٤) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٢/ ١٨.

(١٤٥) سورة الأحزاب: الآية ٣٤.

(١٤٦) ينظر: التفسير الكبير: للرازي: ٢٥/ ١٦٨، وتفسير الخازن: ٣/ ٤٢٥، وتنوير الأذهان: للبروسوي: ٣/ ٢٣٤، وروح المعاني: للآلوسي: ٢٢/ ٢٦٦، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ١٨/٢٢، وتفسير الشعراوي: ١٩/ ٢٠٢٩.

(١٤٧) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ١٨/٢٢.

(١٤٨) سورة الأحزاب: من الآية ٣٤.

(١٤٩) ينظر: تنوير الأذهان: للبروسوي: ٢٣٧/٣، وروح المعاني: للآلوسي: ١٨/٢٢، والتحرير والتنوير: لابن عاشور: ١٨/٢٢.

(١٥٠) ينظر: التفسير الكبير: للرازي: ٢٥/ ١٦٨، وتفسير الخازن: ٤٢٥/٣، وتنوير الأذهان: للبروسوي: ٣/ ٢٣٧، وروح المعاني: للآلوسي: ٢٢/ ٢٦٦.

(١٥١) تفسير الخازن: ٣/ ٤٢٥.

(١٥٢) تفسير الجيلاني: ٤/ ٣٧٢، وتفسير النسفي: ٩٤١، وتنوير الأذهان: للبروسوي: ٣/ ٢٣٧- ٢٣٨، وروح المعاني: للآلوسي: ٢٢/ ٢٦٦- ٢٦٧، وصفوة التفاسير: للصابوني: ٢/ ٥٠٤.

(١٥٣) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٢/ ١٨- ١٩.

(١٥٤) هو محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، الأشبيلي، المالكي، أبو بكر بن العربي: قاض، من حفاظ الحديث، ولد في أشبيلية سنة (٤٦٨هـ)، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين، وصنف كتابا في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ، وتوفي بقرب فاس سنة (٥٤٣هـ). ينظر: نفح الطيب: للتلمساني: ١/ ٣٤٠.

(١٥٥) أحكام القرآن: ٣/ ٤٩٠.

(١٥٦) سورة الأحزاب: من الآية ٣٤.

(١٥٧) التحرير والتنوير: لابن عاشور: ٢٢/ ١٩.

(١٥٨) ينظر: تفسير الخازن: ٣/ ٤٢٥، وتنوير الأذهان: للبروسوي: ٢٣٨/٣، وروح المعاني: للآلوسي: ٢٢/ ٢٦٧، وصفوة التفاسير: للصابوني: ٢/ ٥٠٤.

(١٥٩) تفسير الشعراوي: ١٩/ ٢٠٢٩.

المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم

١. أحكام القرآن: لأبي بكر محمد بن عبد الله المعافري الأشبيلي المالكي المعروف بابن العربي (ت٥٤٣هـ)، تحقيق علي محمد البجاري، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى١٤٢١هـ -٢٠٠١م.

٢. تفسير الجيلاني: للسيد الشريف الشيخ محي الدين أبي محمد عبد القادر الجيلاني، الحسني الحسيني قدس سره (ت٥٦١هـ)، بحث وتحقيق السيد الشريف الدكتور محمد فاضل جيلاني الحسني الحسيني التيلاني الجمزرفي، مركز الجيلاني للبحوث العلمية، إسطنبول، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٣. التفسير الكبير: للإمام الفخر الرازي (ت٦٠٤هـ)، طبعة جديدة مصححة وملونة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ -٢٠١٠م.

٤. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، للعلامة علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، الشهير بالخازن (ت ٧٢٥هـ)، ضبطه وصححه عيد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ٢٠١٠م.

٥. تنوير المقباس من تفسير إبن عباس: لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، الشيرازي الشافعي (ت٨١٧هـ)، دار الجيل، بيروت، لبنان. (ب- ت).

٦. تفسير القرآن العظيم: للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ)، تخريج وتحقيق أبي معاوية مازن بن عبد الرحمن البحصلي البيروتي، دار الدليل الأثرية للنشر والتوزيع، توزيع دار الريان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

٧. تفسير التحرير والتنوير: لسماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، (ب. ت).

٨. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق الأقاويل): للإمام الجليل عبد الله بن أحمد بن محمود النسقي (ت٧٠١هـ)، اعتنى به عبد المجيد طعمة الحلي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٩. تنوير الأذهان من تفسير روح البيان: للشيخ إسماعيل حقي البروسوي (ت١١٣٧هـ)، اختصار وتحقيق خادم الكتاب والسنة الشيخ محمد علي الصابوني، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

١٠. التسهيل لعلوم التنزيل: لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي (ت٧٤١هـ)، الدار العربية للكتاب. (ب- ت).

١١. تفسير الشعراوي: للشيخ محمد متولي الشعراوي (ت١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبارُ اليوم. (ب- ت).

١٢. تاج العروس من جواهر القاموس: للسيد محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق الدكتور عبد العزيز مطر. (ب- ت).

١٣. جامع البيان من تأويل آي القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ)، تحقيق مجموعة من العلماء، الناشر دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١٤. الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي(٦٧١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ -١٩٩٩م.

١٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت١٢١٠هـ)، تحقيق الأستاذ سيد عمران، طبع ونشر وتوزيع دار الحديث ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

١٦. صفوة التفاسير: للشيخ محمد علي الصابوني، الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة العاشرة. (ب- ت).

١٧. في ظلال القرآن: للسيد قطب (ت١٩٦٦م)، طبعة جديدة مشروعة، دار الشروق، الطبعة الشرعية الرابعة والثلاثون ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م.

١٨. مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، راجعه وعلق عليه أنس محمد الشامي، طبع ونشر وتوزيع دار الحديث، القاهرة ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.

١٩. معجم مفردات ألفاظ القرآن: للعلامة أبي القاسم حسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٣هـ)، ضبطه وصححه وخرج آياته وشواهده إبراهيم شمس الدين، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ٢٠٠٨م.

٢٠. مختار الصحاح: للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت٦٦٦هـ)، دار الرسالة، كويت ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٢١. مختار الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيوت، لبنان، الطبعة الرابعة ١٩٩٠م.
٢٢. المصباح المنير: للعلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، طبعة جديدة ومنقحة، ومشكولة ومميزة المواد، طبع ونشر وتوزيع دار الحديث، القاهرة ١٤٣٤هـ -٢٠٠٣م.
٢٣. الكليات (معجم المصطلحات والفروق اللغوية): لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسني القريمي الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ -٢٠١١م.
٢٤. لسان العرب: للإمام العلامة جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري (ت٧١١هـ)، حققه وعلق عليه ووضع حواشيه عامر أحمد حيدر، راجعه عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٢٥. كتاب التعريفات: للشريف الجرجاني علي بن محمد بن علي السيد الزين أبو الحسن الحسيني الجرجاني الحفظي (ت٨١٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ -٢٠٠٥م.
٢٦. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: للشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، حققه إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.